DOI:10.52113/uj05/022-15/1253-1261 ISSN : 2072-6317(P) - 2572-5440(O)

جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الانسانية

مجلة اوروك للعلوم الانسانية

موقع المجلة: www.muthuruk.com

شعر أبي نواس/ ملامح استدلال في قراءاته النقدية القديمة

وليد شاكر نعاس*

جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الانسانية

معلومات المقالة

تاريخ المقالة :

تاريخ الاستلام: 2022/3/10

تاريخ التعديل : --------

قبـول النشـر: 2022/3/10

متوفر على النت: 2022/7/19

الكلمات المفتاحية :

شعر، أبي نواس، ملامح استدلال.

الملخص

شعر ابي نواس له مكانته في النقد العربي القديم، إذ كان مجالاً خصباً في توجه القراءات النقدية حول شعره، وبروز النزعات المختلفة في تحليله، وفق تصورات وروئ لها مرجعياتها وفرضياتها المتباينة.

ومن هذا المنطلق كان مقالنا البحثي محاولة كشف واكتشاف للملامح التحليلة في تراثنا النقدي -على قلتها- وما قدموه من استنباط وفرضيات، منبعثة من دوافع ذاتية وذوقية أو من معاينات جزئية لشعر ابي نواس، مسوغين لأنفسنا التجوال بينها وفق مقتربات النقد الحديثة، بما نعده ملامح يمكن أن تنتظم مع تلك المقاصد ولو بشكل خفي، ونتأملها قراءة تقترب من فضاء النقدية القديمة، واجراءاتها التطبيقية.

وهذا كله يسوغ لنا ان نتحرى تلك القراءات النقدية التراثية حول شعر أبي نواس، كميدان لاختبار ما نحسبه وجوداً خيطياً أوليا لتلك المناهج الاحادية.

©جميع الحقوق محفوظة لدى جامعة المثنى 2022

المقدمـة:

لم يكن النزوع الى قراءة شعر أبي نواس بدعة في خطاب النقد العربي القديم، إنما كان قضية النقاد واللغويين حول شعره، وبه أشار إبن النديم واكده في عدَّه مثار اهتمام القدامى عنه سيرة وشعراً![1]،وذلك بفعل حضوره المؤثر أدبياً وجمالياً، وكل له وسائله وأدواته الاجرائية في قراءة شعره، مما يترتب عنه تمايزاً في وجهات النظر التي افصحت عن ثقافة متمايزة باصرة، تحاول أن تتحرى مواطن القوة والضعف فيه، تارة في لغته الشعرية وتارة أخرى بما يحيطه من مؤثرات ظاهرة أو مخفية، ومعاينة شعره في ضوء رؤياهم وتصوراتهم النقدية.

وبحثنا هذا يحاول أن يسمى تلك الوقفات المعيارية النقدية القديمة بأسمائها المتفاوتة في وجهات النظر، عمقاً معرفياً في استبصاره وفق متنه الشعري، وربطاً بوسائلها وطرائقها واستناداً الى حقيقة أن المناهج المستقلة، ذات الرؤى والتصورات، انما هي مناهج تحليل قارئ، له اجراءات القراءة النصوصية، تسمح بتعدد مداخلها الباصرة للمتون المقروءة، لأنها ممارسات تحليل، تستدعي طرائق في كشف مستويات النص وما يحيط به، مع ان الجهود النقدية القديمة -في معظمها- اهتمت ببعد واحد من أبعاد شعر أبي نواس بوصفها نظرات الى نصه الشعري، نظرة لم تربطه بنسقه الحضاري أو التأريخي أو الثقافي، محدثة إشكالية معيارية تحددها في موضع اختبار جانبي، حسب مرجعيات الناقد التراثي في تمثلاته النقدية المتخيرة، بين الاتباعية والتجديدية.

وإزاء ما ذكرنا من تباين القراءات النقدية القديمة، اثرنا استبصارها على وفق تداخل تحليل نقدي حركي، استناداً الى الزمان والذات القارئة، لأن النقد العربي القديم بدأ تماشياً مع الاتباعية اللغوية، المؤسسة على التجربة البلاغية القرآنية، ثم

*الناشر الرئيسي : E-mail : WaleedNaas324@gmail.com

لتكتمل بخطوات تلائم تطور الذائقة النقدية في العصور اللاحقة، التي حاولت أن تنتقل الى استحسانات جديدة تعلل جودة شعر أبي نواس وفق مقاييس الفهم والتفسير.

اولاً – الاتباعية المعيارية

لاشك ان النقد العربي القديم في قرنيه الأول والثاني كان في جانب كبير يشايع المرجعية اللغوية، ذات اللمسات النقدية الاتباعية الخجولة، ويكفينا استحضار بعض الاعلام، أمثال أبي اسحاق الحضرمي (ت-116 ه)، عيسى بن عمر الثقفي (ت -149 ه)، أبي عمرو بن العلاء (ت-154 ه)، الأصمعي (ت-216 ه)، وسواهم من نبش في اشعار الفرزدق وجرير وبشار وأضرابهم المعاصرين لهم، إذ نجد طغيان القراءة اللغوية وشيوعها حقلاً نمطياً[2]، عضدتها نقداتهم الحجاجية في تفضيل القديم على كل جديد محدث من الشعر، حتى أن الاصمعي ذكر حكاية عن استاذه أبي عمرو بن العلاء، يقول ((جلست اليه عشر حجج، فما سمعته يحتج ببيت اسلامي، وسئل عن المولدين، فقال ما كان من حسن فقد سبقوا اليه، وما كان من قبيح فمن عندهم))[3].

وهذا النزوع سببه المرجعية القرآنية، لأنها السبب الرئيس في تأهيل المعايير اللغوية والبلاغية، واستنباط اصولها وضوابطها، بوصفها أدوات قراءة النص القرآني وبيان معانيه وغامضه، ((وتوضيح الملتبس في غريبه وتفسير ما غمض من مفرداته وتراكيبه))[4]، وذلك يتحقق باستدعاء مدونات الشعر الجاهلي، فهي الرافد الذي إتكأ عليه الجيل الاول من المفسرين، ليكون معماراً للاجيال اللاحقية، مصداقه مقولة ابن عباس (رض) "اذا سألتموني عن فريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب"[5]، وهو ما تحقق عياناً بما سمي سؤالات نافع بن الأزرق لإبن عباس.

وهذه الاتباعية التي تأصلت سوف تنمو إجراء بسببه يفضل الشعر الجاهلي على سواه من العصور اللاحقة، ليتبعه التراتب الزمني معياراً نقدياً، الاسلامي أعلى منزلة من الأموي، والاموي أعلى منزلة من العباسي، وتبريره ((إنما مثل القدماء والمحدثين كمثل رجلين، ابتدأ هذا ببناء فأحكمه واتقنه، ثم أتى الآخر فنقشه وزينه، فالكلفة ظاهرة على هذا وإن حسن، والقدرة ظاهرة على ذلك وإن خشن))[6]، ثم يتم التفاضل بين أصحاب الحاضنة الزمنية الواحدة على اساس الانتماء المكاني والعرقي، وقد يتطور المعيار الى البعد الأخلاقي، إتكاء على الثيمة الدينية والسلوك الاجتماعي للشاعر، مفرقين هذا التقييم الأخلاقي عن قضايا فنية أخرى.

والمشكلة ان نفس تلك الاتباعية تسربت بشكل ملحوظ لدى بعض النقاد الذين يفترض أنهم عاشوا ذهنية جديدة، فهذا قدامة بن جعفر (ت-337 ه) في كتابة (نقد الشعر)، يتمثل قواعد الشعر العربي المتميزة صناعة من الشعراء القدامى حصراً، ليوازنها بالشواهد المعيبة، بما تمثل لدى المحدثين فقط، ولم يكن الآمدي (ت-371 ه) الا امتداداً لتلك السلفية النقدية في مفاضلته بين أبي تمام والبحتري، ليشير ضمناً الى تفضيل البحتري على أبي تمام، لا لشيء الا لأنه سار على نهج الأقدمين في نظمه، وخالفه أبو تمام في العدول عن نظم الأوائل، وبهذا المنظار قرا نقاد آخرون شعر المولدين.

ثانيا – بين الجزئية وملامح الانطباعية.

الانطباعية منهج معياره تأثرية الذات حول ما تقرأه، أي الاحتكام الى الفطرة والمكتسب المعرفي، وسيلة تقرب القارئ الى مدونة النص، وهي مهمة يؤديها ناقد صاحب حدس نافذ، دون قواعد ومقاييس منبثقة من العمل الادبي، الا المقاييس التي تنوجد في ذات الناقد القارئ، ليرصدها في ثنيات النص، اثراً في نفسه لما يقرأ[7].

والقراءات النقدية العربية القديمة الدائرة حول شعر أبي نواس في جانب منها غير معلمة تأصيلاً نقدياً، بقدر ما هي اذواق تأثرية جزئية، متحررة من القواعد المنهجية، تارة تعلل، وتارة تتحيز دون تعليل، وثالثة تستنبط رأي وفق الذكرة الذوقية.

DOI:10.52113/uj05/022-15/1253-1261

وواحدة من تلبية الذائقة المنحازة سلفاً بفعل عوامل دينية، ما ذكره المبرد (ت-286 ه) في شأن أبيات أنكرها على أبي نواس أنه قال ((نعص جبار السماوات، فذكر المعصية مع ذكر الجبار غز اسمه، إنه إياه يقصد بالعصيان))[8]. وبسببها يقصي ابا نواس استناداً الى المدخل الديني، الذي استقر في ذهنية المبرد معياراً اعلى في تذوقه للشعر.

وفي تبرير الاحاطة بشعره من مداخل إنشائية عامة، ينقل لنا الجاحظ (ت-276ه) عن أبي عبيدة (ت-209 ه) بشأن شعر أبي نواس (هو بمنزلة بان ...، ونقص بناوءه وكان ينبغي ان يكون بناؤه اجود))[9]، هو رأي يفتقد الى السند التطبيقي، إنما نزعة يعتقدها المبرد تجاه شعر ابي نواس. ونقيض هذا المعيار الانطباعي ما أورده الجاحظ عن استاذه إبراهيم بن سيّار النظام، حين أنشد شعراً لأبي نواس في الخمر، ثم عقب عليه قائلاً: ((لو كان هذا الفتى جمع له الكلام فأختار أحسنه))[10].

وبهذا الاسقراء الذوقي -المتحامل احياناً- يتعصب اسحاق بن ابراهيم الموصلي (ت-189ه) على أبي نواس، تارة يخطئه فيما يقول نصرة للأوائل من الشعراء، وتارة في خروجه عن نمط الاوائل، ليعلن تذمره ((ما ظننت أني أعيش الى زمان أرى شعر أبي نواس ينفق فيه هذا النفاق))[11]، دون أن يوقفنا على نماذج يحللها إقناعاً للمتلقي، إنما هي آراء تلبي ذاته المتأثرة تعصباً تتكيف اختباراً مع تذوقه المعياري على ان معيارية الذوق الانطباعي قد تتكأ على الاسطرة، ما رواه صاحب الأغاني (ت-356 ه) مسنداً الى والبة بن الحباب أستاذ أبي نواس، أنه ((كان ليلة نائماً وأبو نواس غلامه الى جانبه نائم، إذ أتاه في منامه [إبليس] فقال له: أتدري من هذا الغلام النائم الى جانبك؟ قال: لا، هذا أشعر منك ومن الجن والانس، والله لأفتتن بشعره الثقلين، ولأغرين به أهل المشرق والمغرب، فقال: فعلمت أنه إبليس، فقلت: فما عندك؟ قال: عصيت ربي في سجدة فأهلكني، ولو أمرني أن اسجد له ألفاً لسجدت))[12]

وثمة آراء اخرى تستنبط في شعره نظرات جزئية، منها قول الثعالبي (ت-429 ه) ((فإنه لم يجتمع بباب أحد من الخلفاء والملوك ما اجتمع بباب الرشيد من فحولة الشعراء المذكورين كأبي نواس)) [13]، وهو خلط بين السياسي (أبواب الخلفاء) ومعيار النموذج (فحولة الشعراء).

وعلى وفق تلك الانطباعية التجزيئية يورد الثعالبي (ت-429 ه) أفكاره التي هي منهات تفتقد التحليل المركز على خصائص ما يرتبط بتلك المقولات، منها -مثلا- ما أخذه أبو نواس من غيره وما أخذه الغير منه، او ما قيل عن سرقاته من غير، وما اخذه الآخرون من معان شعرية ذكرها ابو نواس[14].

والى مثل هذه التعمية في اطلاق الاحكام العامة، المنبثقة عن ذائقة تعتني بالهامش والعارض من الآراء، نجد ياقوت الحموي (ت- 656 ه) يذكر أبا نواس في إشارات سريعة، منها ما نسب من أقواله لأبي نواس، ومنها ما جرى من حوارات في مجلس الخليفة الواثق بالله حول شعر أبي نواس، دون أن يضيف ياقوت الحموي رأياً فيها، وربما في موضع واحد ادلى برأيه، من أن أبا نواس كان يغير على معاني الحسين بن الضحال ((في الخمر، واذا قال شيئاً فيها نسبه الناس الى ابي نواس))[15].

أما إبن خلكان (ت-681 ه)، فقد وقف على اشارات السابقين الذاتية في شعر أبي نواس، محاولاً أن يكشف انبثاقها التأثيري، تارة عن مقدرة الشاعر في مجاراة الخطباء في البديهة والارتجال، وأخرى في نظرات جزئية تذوقية، كما روي عن الحاتمي وما نسبه الى اشياخه، من أن ((الافضل ابتداء صنعه شاعر من القدماء والمحدثين))[16]، يتمثل بما قاله ابو نواس:

صِفَةُ الطُلولِ بَلاغَةُ القِدمِ فَاِجعَل صِفاتَكَ لِابنَةِ الكَرمِ[17]

وتارة ثالة نستشعر الانطباعية في احكام يمكن ان تكون نقطة انطلاق او مدخلاً لقراءة تحيط جانباً من شعر أبي نواس، في تفضيله على مجايليه ((لأنه يتصرف في كل طريق ويبدع في كل مذهب، ان شاء هزل وأن شاء جد))[18].

DOI:10.52113/uj05/022-15/1253-1261

ونلمس عند أبي حجة الحموي (ت-837 هـ) آراء تقع ضمن دائرة التأثرية التي تقترب من لذة الرأي المعلل معياراً نقدياً، وكأنه يشرك القارئ فيما رصده في شعر أبي نواس، ونستطيع ان نقف على جانب منها:

1. يراه من أهل الحشمة في خطاب الدمن.
2. يراه من أصحاب النوادر والهزل.
3. يراه ممن يحسنون المراجعة.
4. يراه ممن يحسنون التصريح.
5. يراه ممن يجيد حسن التخلص.
6. يراه ممن أجادوا بالعكس.
7. يراه ممن أبدع بفن التردد.
8. يراه ممن حفل بالتشبيهات.
9. يراه ممن بعد غوره بالتورية.
10. يراه ممن يجيدون حسن الاتباع.
11. يراه ممن يجيدون حسن النسق.
12. يراه ممن احاطوا بالاحتراس.
13. يراه ممن اجادوا حسن الختام.

وقد يذكر نظرات عامة، وأخرى سلبية في جانبي النظم والمضمون[19].

والمتحصل تمثلاً جانب من تلك الآراء النقدية القديمة، ينقل لنا تفاوت الانطباعات المعيارية في التذوق لشعر أبي نواس، جانباً منه اتباعي، وآخر يتحرى جيده، وثالث يستقصي عيوبه في نظرات جزئية.

ثالثا – مقتربات المنهج الاجتماعي.

منهج يتحرى الأدب في ضوء علاقته بالبيئة والمجتمع، أي ثمة رابط بين مدونات النصوص الأدبية والعوامل الايديولوجية التي انبثق عنها النص أو خلالها، صياغة تكشف النظم والاخلاق والدين والعادات قوة مؤثرة فيه[20] بوصفها جزءاً من ذخيرة الشاعر التي تسهم في خلق ذائقته الشعرية.

ونحسب أن النقد العربي القديم لم يؤثر عنه معرفة المنهج الاجتماعي مجسداً بمعاييره، لكن ثمة مقتربات خبيئة نلمسها في طروحاتهم، فيها اشارات ترتبط بنزعة هذا الاتجاه، بما يخص الملاحظ في شعر أبي نواس اثراً مندمجاً مع المتجمع، لما اصاب هذا المجتمع من تبدل في منظومته الأخلاقية انفتاحاً على الامم، مع واقع حياتي جديد في ترفه المدني، ولم يكن أبو نواس بدعاً من هذا التأثير لمظاهر الحياة الجديدة في شعره.

فقد ذكر الجاحظ (ت-276 هـ) آراء تربط شعر أبي نواس مع السياق الاجتماعي، منها-مثلاً-تبريره في تفوق ابي نواس في الأراجيز، بسبب تعاطي الشاعر بيئياً مع الكلاب، ((لأنه كان قد لعب بالكلاب زمنا، وعرف منها ما لا تعرفه الاعراب، وذلك موجود في شعره، وصفات الكلاب مستقاة من اراجيزه))[21]، كأنه رصد ينبثق من النص الى محيط ذات الشاعر، اشتراكاً مع خارجها.

واستتباعاً للمؤثر البيئي في مسألة التواصل الكلامي لدى مستخدمي اللغة سياقاً ثقافياً، وهو ما اتضح في تصورات النقاد القدامى في توظيفها للمتداول اللساني اليومي، اذا استحسن فئة منهم اللين والسهولة والوضوح اسلوباً في أدائه الشعري، بما عد تبريراً في تذوقهم لتلك المفردات والتراكيب الاجتماعية، وهو ما استنبطه أبو محمد بن علي بن وكيع (ت-393 هـ) عن شعر أبي نواس، ((إنما تروى لعذوبة ألفاظها ورقتها وحلاوة معانيها وقرب مأخذها))[22].

مع أن ثمة قضية ترتبط ضمناً بصياغات أبي نواس الشعرية، وهي اللحن التي اشكلت عليه من قبل فئة منهم، أمثال المبرد (ت-286 هـ) والمرزباني (ت-384 هـ) والاخير ساق أمثلة منها، لكن القارئ المتبصر يرى أن جانباً منها لا يعود الى الخطأ الصرفي أو النحوي...، إنما يتعلق بجانب الاصوات، وهذا أمر يعانيه الأعاجم في نطقهم للحروف، أو استعمال المفردة المتداولة بديلاً عن الفصيح.

DOI:10.52113/uj05/022-15/1253-1261

وعطفاً لما ذكرنا، كان الالتفات نحو البيئة مدخلاً يستعان به في قراءة النصوص الشعرية، لأن ((لكل قوم الفاظ حظيت عندهم....، وقد لهج والف الفاظها بأعيانها))[23]، وهو ما رصد في رسوخ هوية أبي نواس حضوراً اجتماعياً، إنه ((لم يكن شاعراً في عصر أبي نواس الا وهو يحسده لميل الناس إليه، وشهوتهم لمعاشرته، وبعد صيته وظرف لسانه))[24]، وهو ما عزز قراءة شعره ابداعاً وافق مقامات الناس الذهنية، لقربها من الذائقة المجتمعية، ومطابقتها للمألوف اليومي، إيقاعاً غنائياً ومتداولاً جمالياً.

ومن ملامح النقد الاجتماعي ما تجسد في موجودات البيئة، منها ما وقف عليه النقاد في لباس النساء، بوصفه إغراء جمالياً، وبه فضل بعضهم أبا نواس على سواه في قوله

كأن ثيابه اطلعن ... من أزراره قمرا

يزيدك وجهه حسناً ... إذا ما زدته نظرا[25]

والامر ذاته في استدعاء البيئة من قبل أبي نواس، ونخص بالذكر شعر الغلمان الشائع لدى الطبقات المترفة في العصر العباسي، وهو ما تنبه له النقد العربي القديم لدى مطيع بن اياس ووالبة بن الحباب والحسين بن الضحاك، وقد وقف الاصفهاني على جانب منه في شعر أبي نواس، وكيف جعله في مطالع بعض قصائده[26]، استدلالاً منه ان شعر أبي نواس في هذا الجانب تمثل للعصر الذي كان فيه، انقياداً منه للمؤتلف الجماعي.

ولم تكن متون أبي نواس الساخرة من الاعراب وطرائق عيشهم، وما جهلوه من الحاضرة الا امتداداً لوعيه بالحاضرة التي يعيشها، وهو ما استوقف بعض النقاد القدامى في عده شعوبيا، يريد النيل من العروبة، ويتعصب لقومه الفرس[27]، مع أنها احكام جزئية عابرة عن توصيف المعنى الشعري، الى مقياس لا يستند الى ضابط نقدي موضوعي، إنما تحامل متأثر بالتعصب المحتد منبتاً عربياً.

رابعاً – استبصار المنهجين النفسي والتاريخي.

أحسب أن تواشج العلاقة بين المعيارين النفسي والتأريخي ماثلة عند بعض النقاد في قراءتهم النقدية لشعر أبي نواس، بوصفهما يتكآن على ابراز النص وثيقة، تكشف المضمر النفسي للذات المبدعة، موازنة مع العصر الذي عاشته تاريخاً، له ظروفه المسهمة تأثيراً على الشاعر.

والتضايف بينهما يمكن أن نلمحه في وقفات النقاد القدامى، وهم يبررون جانباً من خصيصة الابداع في شعر أبي نواس، مع أن مرتكزات المنهجين ممارسة تطبيقية لهما تصورات مختلفة.

إذ أن المنهج النفسي يتقصى فيه الناقد الذات المنتجة للاثر الفني ربطا بمدونه، بوصف الأديب ((يسعى عن طريق اعماله الفنية ايجاد منافذ ينفس بها عن رغباته المكبوتة))[28]، وهذا المنهج يتحرى فيه الناقد تقديم اجابات ثلاث، أولها: دراسة الاثر الادبي في ضوء علاقته بمنتجه، وثانيها: دراسة الاثر الادبي في ضوء الدلالات الكامنة فيه، وثالثها: دراسة الاثر الادبي في ضوء علاقته بالقراء[29].

ونحسب أن ثمة اسهامات نقدية عربية قديمة، تبصرت جانباً من مسميات المنهج النفسي أو شيئاً من التزاماته، وهذا ما بينته الدراسة القيمة للدكتور محمد خلف الله التي تناول فيها ملامح نفسية في التراث النقدي، واقفاً على محطات منها، وعارضاً ما استنبطه من مقولاتهم النقدية المبكرة[30] ، في كشف خيوط نفسية يمكن الارتهان إليها، وقائع تربط بين النص وصوت مبدعه.

على أن الاسهام النقدي القديم الذي نلمح فيه جانباً من الآراء التي قرأت شعر ابي نواس، استناداً الى المؤثر النفسي للذات أو ما يحيط بها، فمظاهره مما قاله فئة منهم في أسباب جودة صياغته التي أرجعت تحت الدافع النفسي لأنه لا يقول جيد الشعر حتى تكون نفسه طيبة ((وفي بشاش مونق، وعلى حال...، من صلة او وصل لها او عد بصلة[31]))، كونها مؤثرات نفسية تلهمه وتغذيه اجود الشعر صياغة. وهذه تتعاضد مع شعر المجون الذي ارجعوه الى سيرته الأولى منذ كان طفلاً، وما عاشه من دلال

DOI:10.52113/uj05/022-15/1253-1261

وانحراف سلوكي، تعضد لاحقاً بلقائه مع والبة بن الحباب الشاعر الماجن.

على أن الجاحظ (ت-255 ه) قد اشار بشكل خفي الى جانب الغرائز البشرية في صناعة الشعر، بوصفها مثيراً مضمراً، له خصوصيته النفسية في انشاد الشعر[32]. وهو ما لوحظ في تحرره من تقاليد شعرية متوارثة، ولعل ابرزها سخريته من الميل العربي في مقدمات القصائد، اذ يقول:

دَعِ الأَطلالَ تَسفيها الجَنوبُ وَتُبلي عَهدَ جِدَّتِها الخُطوبُ
وَلا تَأخُذ عَنِ الأَعرابِ لَهواً وَلا عَيشاً فَعَيشُهُم جَديبُ
دَعِ الأَلبانَ يَشرَبُها رِجالٌ رَقيقُ العَيشِ بَينَهُمُ غَريبُ[33]

وقد تتسامى غريزته النفسية انتماءاً في المفاضلة بين عالمين.

فَأَينَ البَدوُ مِن إيوانِ كِسرى وَأَينَ مِنَ المَيادينِ الزُروبُ[34]

وقد وقف النقاد القدامى عنده اثراً نفسياً تمثله الشاعر، بإظهار التفوق على العرب، وفي هذا تثار العصبية الانتمائية مقياسياً في جودة الشعر[35]، مع أن تلك العصبية المدونة شعراً ((بمثابة وثيقة يمكن أن يكتشف تحليلها عن القوى النفسية اللاشعورية في شخصية))[36] الشاعر أبي نواس، بعيداً عن استدعاء ذهنية النسب من جهة مولده.

على أن ارتداد ذات الشاعر في الانتماء النفسي، يبرر جانباً من صناعته اللغوية، وهو ما أبرزه ابن جني (ت-393 ه)، كي يتم الاحتفاء به على وفق المنحى الاعرابي الخالص، وانه حاجة نفسية منه في لفت انتباه علماء اللغة[37].

وقد كان أبو عبيدة (ت-209 ه)، قد ألمح الى معيارية القدم والحداثة معماراً تاريخياً في التفاضل بين أبي نواس وغيره، حين قال ((أبو نواس في المحدثين مثل أمرؤ القيس في المتقدمين، فتح لهم الفطن ودلهم على المعاني وأرشدهم الى طريق الأدب والتصرف في فنونه))[39]، وهذا الرؤية ذات المقاربة التأريخية كانت حاضرة في ذهن ابن المعتز (ت296 ه) وهو يورد رأياً مفاده أن من ((طلب الأدب فلم يرو شعر أبي نواس، فليس تام الأدب))[40]

اما المنهج التاريخي فهو يبرز جانباً من شخصية الأديب ربطاً بالظروف التاريخية، ليستدل منها على لون التفكير السائد في عصره، وعن منحاه في رؤية الاديب تبعاً للحادث التاريخي[35].

وربما كانت قضية المجون في شعر أبي نواس من أبرز معالم العصر الذي عاشه، إذ يمكن عد هذه الظاهرة وثيقة تاريخية يحتكم اليها بهذا الشأن.

ولم يكن النقد العربي القديم بعيداً في بعض تصوراته عن ملامح المنهج التاريخي، وهو ما نتلمسه خيوطاً نقدية في كتاب طبقات فحول الشعراء، لإبن سلام الجمحي (ت-231 ه) وعند الجاحظ (ت-225 ه) في كتابه البيان والتبين وسواهما من الآراء النقدية المنثورة في ثنيات كتب التراث.

أما ما لحظناه من قراءات تخص شعر ابي نواس من هذا المنحنى فقد كانت نادرة في استجلاء هذا المؤثر التاريخي أو بيانه في نقداتهم، وربما يذكر احدهم نسقاً مضمراً يتمثل في بطش السلطة متخيلاً تاريخياً، في قول ابي نواس:

فَسَمعٌ أَميرَ المُؤمِنينَ وَطاعَةٌ وَإِن كُنتَ قَد جَشَّمتَني مَركَباً وَعرا[41]

بأن هذا الواقع التاريخي المتمثل بطاعة السلطة، ومنه ((وصف الاطلال والفقر، إنما هو خشية الامام، وإلا فهو عنده فراغ))[42].

من جانب آخر يمكن أن نعد ما لحظناه من صراع عربي وأعجمي مؤثراً تاريخياً -غير مبرر فنياً- يتجه اليه النقاد في المفاضلة بين الشعراء، وهو ما اشار إليه الجاحظ (ت-255 ه) في تأمل نمط من شعر أبي نواس وتفضيله على غيره ((إلا ان تعترض عليك فيه عصبية))[43] الصراع التأريخي في تلك الحقبة بين العرب وسواهم، وهو ما تمثل في نصوص شعرية لأبي نواس، أبرز فيها الجانبين الاجتماعي والتاريخي، وبسبب هذا المتخيل التاريخي تعصب اسحاق بن ابراهيم الموصلي (ت-235 ه) على ابي نواس، ولم ينصره على شعراء العربية نسباً[44].

DOI:10.52113/uj05/022-15/1253-1261

الخاتمة

اكتسب شعر أبي نواس اهمية واضحة في القراءات النقدية القديمة، وقد حاولنا استبصار جانباً من الآراء النقدية، التي دارت حول شعره تارة، أو حياته تارة أخرى، أو رابطاً بالسياق العام المحيط به.

وقد أوضحنا في مقالنا هذا ما يمكن عده تصورات نقدية متباينة بين المنهج الانطباعي والمناهج السياقية الاخرى، التي استنطقنا منها ما نعتقده موافقاً للرؤى النقدية القديمة، بما انطوت عليه من نظرات جزئية أو ذائقة غير معللة، أو كشفاً لمزالق ومآخذ على شعره، مع ما شاب بعض الآراء من تداخل بين مستويات القراءة، نعده راجعاً الى الارتجال والذاتية في إطلاق الاحكام النقدية.

على أن استقراء التراث العربي النقدي في بحثنا هذا لا يمكن اتمامه في هذه الصفحات الفقيرة، لمبررات علمية تتوافق مع الورقة البحثية في هذا الشأن، لكنها ادعت تقديم نظرة استدلالية عن حظوظ شعر ابي نواس، اغراضاً واسلوباً في نظمه، متجاذب بين تياري الاتباع والابداع، في قراءة أبي نواس عصراً وشعراً وسيرة.

وقد سجلنا ما نعتقده من جهود نقدية، تنطلق من محاولة أولئك النقاد استبصار شعر أبي نواس، وفق المرجعيات الثقافية التي ينتمون اليها، وبها كانت مقاييسهم النقدية غير مكتملة منهجياً، إنما اجتهد كل منهم في صياغة رأيه النقدي سلباً او ايجابياً عن شعر ابي نواس.

وربما يشكل علينا البعض أن المناهج النقدية الحديثة لا تتوافق مع المآخذ المسجلة سلباً في الشعر القديم، بفعل بعثرة الآراء النقدية القديمة، أو إنفصالها عن التذوق المتكامل، أو التسطيحية في النظرات الاجمالية...، لكن وجهة نظرنا بيان ملامح معيارية عند موجهات القراءة النقدية القديمة بشكل شمولي، بما يسوغ لنا اختبار تلك الآراء المختلفة مع الرؤى المنهجية الحديثة.

هوامش البحث

1. ينظر الفهرست:120
2. ينظر النقد اللغوي عند العربي:63
3. العمده: 95/1، ينظر النقد اللغوي عند العرب:64
4. النقد اللغوي عند العرب:81
5. تفسير القرطبي:56/1
6. العمدة: 27/1
7. ينظر النقد الأدبي الحديث قضاياه ومناهجه: ٢٧١
8. الموشح: ٤١٦
9. المكان نفسه
10. أخبار أبي نواس: ابن منظور المصري (ت-711 هـ):56
11. الموشح: ٤١٧
12. الأغاني: 48/18
13. يتيمة الدهر:226/3
14. ينظر م. نفسه: ١٦٦،٢٣٦/١،٩٢/5
15. معجم الأدباء: ١٤٣٨/٣،٢٠١٧/5
16. وفيات الأعيان: 95/1
17. ديوان ابي نواس برواية الصولي: ٦٨٥
18. وفيات الأعيان: 96/1
19. ينظر خزانة الأدب وغاية الأدب: 516،498،447،419،403،400،210،199،118/2،33/1،
20. ينظر النقد الأدبي الحديث قضاياه ومناهجه: ٢٧٢
21. البيان والتبيين: ٢٣/٢، وينظر: 23/٤،١٧١/2،65/1
22. العمدة: ٢٧/1
23. اخبار ابي نواس لابن هفان المهزومي (ت-257 هـ): ١٢٣
24. م. نفسه: ١٤٧
25. ديوان ابي نواس برواية الصولي: ٢٨٨
26. ينظر كتاب الاغاني: ٢٠٣/14، أخبار ابي نواس: ١١٤ الشعر والشعراء: ٧١/2
27. ينظر أخبار ابي نواس لابن هفان المهزومي (ت-257 هـ): ٨١
28. مقدمات في فلسفة الفن: ٨٥
29. ينظر النقد الأدبي الحديث قضاياه ومناهجه: ٢٦٨
30. ينظر دراسات في الأدب الإسلامي: ٦١
31. اخبار ابي نواس لابن هفان المهزومي (ت-257 هـ): ١٠٨

DOI:10.52113/uj05/022-15/1253-1261

32. ينظر كتاب الحيوان: ٣٧٩/1
33. ديوان ابي نواس برواية الصولي: ٥٦
34. م. نفسه: ٤٩
35. ينظر أخبار ابي نواس: ٨٧
36. النقد الأدبي الحديث قضاياه ومناهجه: ٢٦٧
37. ينظر تفسيرا ارجوزة ابي نواس: ٨-٩
38. ينظر النقد الأدبي الحديث قضاياه ومناهجه: ٢٦٠
39. معاهد التنصيص: 48
40. طبقات الشعراء:48
41. ديوان ابي نواس برواية الصولي: ٣٧٢
42. وفيات الأعيان: ١٧٤/5
43. الحيوان: ١٢١/1
44. ينظر أخبار ابي نواس: ٧٢

مصادر البحث:

1. اخبار أبي نواس، محمد بن مكرم ابن منظور(ت-711هـ)، تحقيق: محمد عبد الرسول، مصر، مطبعة الاعتماد، 1924 م.
2. اخبار ابي نواس، لأبي هفان عبد الله المهزمي (ت-257هـ) ، تحقيق: فرج الحوار، دار مصر للطباعة، ص١.
3. الأغاني، أبو الفرج الاصفهاني (ت-356 هـ)، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، بيروت، دار الثقافة، 1959م.
4. البيان والتبيين: لأبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ (ت-٢٥٥هـ)، تحقيق: علي أبو ملحم، مصر، مكتبة الخانجي:
5. تفسير ارجوزة ابي نواس، أبي الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢ هـ)، تحقيق: محمد بهجت الأثري، دمشق، ط٢،
6. تفسير القرطبي: ابو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت-٦٧١ هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 2006
7. خزانة الأدب وغاية ألادب، لأبي بكر علي بن حجة الحموي (ت-٨٣٧ هـ)، تحقيق، كوكب دياب، بيروت، دار صادر، ط٢، ٢٠٠٥ م.
8. دراسات في الأدب الإسلامي: محمد خلف الله، مصر، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ط١، ١٩٤٧
9. ديوان ابي نواس بشرم الصولي (ت-٣٣٥ هـ)، تحقيق: بهجت عبد الغفور الحديثي، ابو ظبي، هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث، ط١، ٢٠٢٠
10. الشعر والشعراء، ابن قتيبة (ت-٢٧٦ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت، دار أحياء العلوم، ط٦، ١٩٩٧
11. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني (ت-٤٥٦ هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر، بيروت، دار الكتب العلمية
12. الفهرست، ابن النديم (ت-438 هـ)، تحقيق: إبراهيم رمضان، بيروت، دار المعرفة، ط2، 1997 م.
13. كتاب الحيوان: الجاحظ (ت-٢٥٥ هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار أحياء التراث، كتاب الاغاني: ابو الفرج الاصفهاني (ت-٣٥٦ هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت، دار صادر.
14. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، عبد الرحمن العباسي (ت-963 هـ)، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، مصر، مطبعة السعادة، 1947 هـ
15. معجم الادباء: ياقوت الحموي (ت-٦٥٦ هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٣
16. مقدمات في فلسفة الفن: د. رياض عوض، بيروت، طرابلس، مطبعة جروس بروس، ط١، ١٩٩٤
17. الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ابو عبيد الله المرزباني (ت-٣٨٤ هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية.
18. النقد الأدبي الحديث قضاياه ومناهجه: وليد شاكر نعاس، بغداد، مطبعة الرضا، ٢٠٠١.
19. النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري: د. نعمة رحيم العزاوي، بغداد، جامعة الإمام الصادق، ط١، ٢٠٠٥.

DOI:10.52113/uj05/022-15/1253-1261

20. وفيات الأعيان وأنباء الزمان، أحمد بن محمد ابن خلكان (ت-٦٨١ هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت، دار صادر.

21. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، لأبي منصور الثعالبي (ت-٤٢٩ هـ)، تحقيق: د. مفيد محمد، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠م.

Abstract:

Abi Nawas poetry has its status in the ancient Arabic criticism, as it was a fertile field of directing the critical readings to his poetry, and the emergence of different tendencies in his analysis, according to perceptions and visions that have different references and hypotheses.

from this point of view, our research article was an attempt to uncover and discover the analytical features in our critical heritage – however few - and what they presented of elicitation and hypotheses, emanating from personal and taste motives, or from partial reviews of Abi Nawa's poetry, justifying ourselves to roam among them according to modern criticism approaches, of what we consider features that can be to be organized with those purposes, albeit in a hidden way, and to contemplate them as a reading that approaches the space of the ancient criticism, and its applied procedures.

all of this justifies us to investigate these traditional critical readings about Abi Nawas' poetry, as a field for testing what we consider to be a primary existence of these single approaches.

DOI:10.52113/uj05/022-15/1253-1261